اللغة الدولية

بقلم الاب رفائيل نخلة اليسوعي

ان آلافاً مؤلفة من الشرقيين ، حتى المتنورين انفسهم ، لا علم لهم بوجود مشكل اللغة الدولية ومسيس الحاجة الى حله على وجه معقول ، ولاسيما بعد الحرب الاخيرة الهائلة ، المبرهنة باجلى البراهين على وجوب الاتحاد بين كل الشعوب ، لتبادل المنافع المادية والادبية ، بل لاتقاء شرور عاصفة هوجاء جديدة ، تهبّ على العالم ، فتحول دماره الحالي الى خراب كلي ، لا تكاد عصور عديدة تكفي لتشييد صرح مدنية اخرى على رائع انقاضه .

ذلك ما حدا بنا الى كتابة هذه المقالة ، كي نُطلع بها لفيف الناطقين بالضاد على تلك المسألة الحيوية ، التي لا سبيل لغض النظر عنها في الوقت الحاضر . ولعلّ اقوى شاهد على صحة قولنا هذا ، الذي ربما نسبه بعض القراء الى المغالاة ، ان عصبة الامم القديمة قد وجهت عنايتها الى مشكل اللغة الدولية ، وان جمعية من العلماء مركزها في الولايات المتحدة ، تجري منذ عدة اعوام التحقيقات اللازمة وتجمع المعلومات المفيدة ، لتحيط بكل اطراف تلك المعضلة الخطيرة ، فتتمكن ، بعد طول التنقيب ، من اكتشاف حلّ موافق لها . وغايتنا ، على اثر تلك الديباجة التمهيدية ، ان نلقي رائد النظر على اهم الحلول التي عرضها على العالم المتمدن جهابذة الباحثين والمفكرين في القرون الثلاثة الاخيرة .

ربما رأى القارئ بعينيه عند كلماتنا الاخيرة ، فسألنا ، وقد اخذت منه الدهشة كل مأخذ : « هل كرّ على العصور ثلاثة عام ، والمفكرون لا يألون « جهداً في محاولة ذلك معضلة اللغة الدولية ؟ ان ذلك من الغرابة بمكان ! » فنجيبه : « اجل ثم اجل ؛ واليك الحجج الدامغة على صحة قولنا تراها مدونة « في تاريخ العمران الحديث ، على اننا قبل عرضها على محكّ انتقادك ، نتوسل « اليك ان تنبذ نبذ النواة ما علق حتى الآن بذهنك من الاوهام الباطلة ، « السابقة للنظر العلمي ، في شأن المشكل الهام الذي نعالجه . أجل صائب « الفكرة في الشواهد التي نسردها عليك موجزةً ، ثم احكم سديد الحكم :

« اولاً هل مسألة اللغة الدولية من الترهات التي لا طائل تحتها، فضلاً عن تعذّيها
« حدود الامكان ؟ ثانياً هل يوجد لها الآن ، على فرض كونها مفيدة وفي
« دائرة المستطاع ، حلٌ مُرضٍ كل الارضا . ؟ »

١ — ضرورة اللغة الدولية

من المعقول ، بل من البديهي ، لزوم النظر في فائدة مشكل عملي كهذا، قبل البحث في طُرُق حلّه ؛ والا ذهب سعي الذهن ادراج الرياح . اذًا يجب علينا اولاً الاجابة على سؤال جوهري ، وهو : هل اللغة الدولية ضرورة ماسة؟ نجيب بدون ادنى ارتياب : « انها حاجة لا غنى عنها ، في دور تمدننا الحالي ، « بسبب النمو المتواصل في العلائق السياسية والتجارية والعقلية بين جميع الدول . » هلم بنا لنسرح انظارنا هنيهةً في تلك الميادين الثلاثة ، وهي ملتقى كل الشعوب ولن تزال . ولنبدأ بالعلائق العقلية ، فان لها المقام الاسمى ، بالنظر الى سموّها الواضح . لا يخفى عن احد المطلعين ان من اشد العقبات الكؤود ، الحائلة دون سعي العلماء وسائر رُعاة العلوم ، كثرة اللغات الغنية بآلاف من الكتب والنشرات العلمية ، الجليلة الفوائد ، التي لا ينفكّ عددها يتزايد يوماً فيوماً ، بسرعة قلما خطرت ببال . دليل ذلك مثلاً ان المانية في سنة ١٩١٨ ، مع انها الرابعة من سنوات الحرب الكبرى ، قد نشرت ١٤٧٤٣ كتاباً ، بدلاً من ٣٥٠٧٨ في سنة ١٩١٣! وقس على ذلك ما نُشر في انكلترة وفرنسة وايطالية والولايات المتحدة وغيرها . وقد صرح اللغوي الفرنسي مايا (Meillet) ، الطائر الصيت ، انه يوجد في جيلنا على الاقل عشرون لغة تُطبع فيها مؤلفات علمية يُعتدّ بها . فلعمري مَن من العلماء وطلاب العلوم يجد في حياتنا الحسرية ، الكثيرة الاشغال والشواغل ، وقتاً كافياً لدرس ربع ذلك العدد من الالسن التي تعرض علينا كنوز معارف للخوض في كل مطلب علمي ؟ وايم الحق انه لأهون جدًّا ان يتبحر ابن القرن العشرين في اي علم كان من ان يتضلع من نصف اللغات العلمية . ثم ان كثرة تلك اللغات تحول دون نجاح المؤتمرات الدولية، وقد بلغ عددها سبعة واربعين في سنة ١٩١٤ . انه لامر مشهور ان بعض

حضرة يخرجون من ستدى كل مرة لغة جديدة في خطب الملقاة او المقالات المتلوة . افليست ، والحالة هذه ، حاجة العالم المتمدن ماسة الى اتخاذ لغة دولية ، لازالة كل تلك العراقيل المانعة للتفاهم الكامل وتبادل كنوز المعارف على وجه تام ؟

فلننظر الآن الى ضرورة اللغة الدولية في التجارة . يعرف القاصي والداني ان في المحلات التجارية الكبرى ، في كل الاصقاع ، آلافاً من كتبة الرسائل تقتضي وظيفتهم معرفة ثلاث لغات على الاقل ، نعني الانكليزية والفرنسية والالمانية ، ومن المعلوم انه ، اذا وُجد بعض الشبه بين الأوليين ، فثنتان ما بين الآخريين . ولذلك ترى اولئك المستخدمين يبذلون اقصى الجهد واثمن الوقت فضلاً عن الاصفر الرنان ، للحصول على معرفة يسيرة للغات التجارية الثلاث ، التي لا متدوحة لهم عن درسها . ومن الواضح انه يتحتم على التجار دفع اجور عالية لاولئك الكتبة ، حتى يعوضوا شيئاً فشيئاً من النفقات التي تحملوها في تعلم الالسن . ولا سبيل الى ازاحة تلك العوائق العظيمة والنفقات الجسيمة سوى تواطؤ الشعوب على اتخاذ لغة دولية .

لا بد من ذلك ايضاً لتسهيل العلائق السياسية . لا نجهل ان الفرنسيين يفتخرون بكون لسانهم هو ، منذ عصور عديدة ، نسيج وحده ، لاتفاق اساطين السياسة على استخدامه في محاوراتهم . مهما يكن نصيب ذلك الادعاء من الصحة ، فلا يختلف اثنان من ذوي النظر البعيد في كونه يحط من كرامة سائر الدول ، ولا سيما الكبرى ؛ فهو فاحش ان كان حقيقياً . ما عدا ذلك ، أمن الصواب ان يُسام سائر الناس كلهم السياسة سوى فرنسة عب تعلم الفرنسية ، وهي من اصعب الالسن نحواً وصرفاً ، لفظاً وكتابة ؟ فيُستنتج من كل ذلك ان استخدام لغة دولية ، غير الفرنسية ، ضرورة ماسة لتيسير العلائق السياسية ، التي لا تزال تنمو في جيلنا ، ولا سيما بعد الحرب الاخيرة ، كثرة وتعساً وخطورة وتعقداً .

يسوغ لنا اذاً بعد اجالة النظر في اوسع ميادين الصلات الدولية ، نعني ميادين العلم والتجارة والسياسة ، ان نصرح تصريحاً جازماً بشدة افتقار

الشعوب الراقية الى لغة واحدة ، مشتركة بينهم اجمعين ؛ فهي وحدها تضمن لهم سهولة التفاهم وكمال التبادل المادي والادبي، وتمام الاقبال العمراني، المؤسس على تبادل كل ضروب الخيرات .

٢ — الشروط المطلوب استيفاؤها من اللغة الدولية

الشرط الاول ان تفي بلوازم الحياة الاجتماعية المعتادة ، ثم بحوائج التجارة والعلوم والفنون ، على اختلاف انواعها . ومن ثم ينبغي ان تكون اللغة الدولية غنية بكل الكلمات الضرورية للتعبير عن كل متعلقات التمدن الحاضر ، بدون استثناء . الشرط الثاني ان تكون قريبة المنال لذوي الثقافة المتوسطة، ولاسيما لاصحاب الحضارة الاوربية . الشرط الثالث أن لا تكون احدى اللغات الوطنية .

اما الشرطان الاولان فلا يحوم على وجوبهما ادنى شك . والثالث قد اشرنا فيما سبق الى لزوم استيفائه ، من وجهين على الاقل ، احدهما الصعوبة الشديدة التي يعانيها دارسو اللغات الوطنية، اية كانت ، بسبب وفرة قواعدها وكثرة شواردها ؛ وكل من له بعض الخبرة في هذا الشأن لا يتمالك ان يؤيد صحة قولنا . الوجه الثاني ، وهو الاهم ، كون كرامة الامم تمس باتخاذ لغة احداها بصفة لغة دولية . لا يخفى ان اللغة الوطنية هي من اجل واعز ما يتملك به كل شعب من الاملاك الادبية ، الموروثة من اجداده ؛ فهو يذود عن حياضها ببذل النفوس والنفائس ، ولا يرضى بعقد اتفاق صريح او ضمني ، يتخلى فيه عنها ويقبل لغة الاجانب ، ولو كان استخدامها محصورًا في نطاق العلائق الدولية . حاشا ان تحتمل امة شريفة نفسها مثل ذلك النير المذل ، الآئل الى استعبادها المعنوي ، بل المادي ، تجاه القوم الذي اتخذت لسانه .

ماذا حال سوى ذلك ، في القرن المنصرم ، الذي بلغت فيه المواصلات العالمية المتنوعة شأوًا فائق التصور ، دون تواطؤ الشعوب المتمدنة على اختيار الانكليزية او الفرنسية او الالمانية ؛ بصفة لغة دولية لتسهيل كل معاملاتها واعلاء منار حضارتها ؟ وهل نسينا ان المندوبين الفرنسيين قد عرضوا لسانهم على جمعية الامم السالفة ، لتتخذه وحده في كل اشغالها وجلساتها ، فقام الانكليز وقعدوا بازاء ذلك الطلب الجسور ، ورفضوا ارعاء ذلك الاقتراح

المهين تعهم ؟ وهل يؤيد استحالة تحلي الشعوب عن عاداتها واتفاقها على اختيار لسان امة ما ، وان تكون جليلة الشأن، بصفة الواسطة الوحيدة الرسمية للتفاهم في كل العلائق الدولية ، هو ان الباحثين عن حل لمعرض لمشكل اللغة الدولية في القرون الثلاثة الاخيرة ، قد ابتكروا نحو مئة وخمسين لغة صناعية للوفاء بالغرض المطلوب ! فلماذا لم يخطر ببالهم اتخاذ احد الالسن القومية ، الواسعة الانتشار ، بدلاً من اجهاد قرائحهم عبثاً في استنباط لغات جديدة ؟ أمن المعقول ان يكون جميعهم قد ضاروا سواء السبيل ؟ لا لعمري ، فذلك هتر هاتر في عين المتبصر ، العالم بطبائع البشر ونواميس الاذهان. انما اغمض هؤلاء المبتكرون طرفهم عن اللغات القومية ، اذ لاح لهم ، كالشمس في رائعة النهار ، امتناع اقتراح احدى هذه اللغات على كل الامم . فلا بد ، والحالة هذه ، من التسليم بضرورة وضع لغة دولية صناعية .

٣ ــ اشهر اللغات الدولية الصناعية المبتكرة من سنة ١٦٢٩ الى ١٨٧٩

كان الفيلسوف والرياضي الفرنسي ديكرت (Descartes) ، وهو اشهر من نار على علم ، من اول الذين اعملوا فكرتهم الوقادة لحل مشكل اللغة الدولية ، بل هو القائل، في سنة ١٦٢٩، بامكان صوغ لسان في غاية البساطة والسهولة، لحل تلك المعضلة؛ وكفى رأي ذلك العلامة تأييداً لما ارشدنا اليه بجود الصواب من امتناع موافقة لغة قومية للغاية المنشودة . وكان ليبنتس (Leibnitz) ، معاصر ديكرت وندّه في الفلسفة والرياضيات ، يعتقد مثله ضرورة لغة دولية، غير انهما لم يتوفقا الى ابتكارها. ثم كرّ على ذلك نحو قرنين ونصف، تعاقبت فيها عشرات من اللغات الدولية الصناعية ، فبقي كلها تقريباً حبراً على ورق ، وهي في الوقت الحاضر نسي منسيّ عند جميع الناس، ما خلا بعض الاختصاصيين. فنجتزئ هنا ، طلباً للايجاز ، بذكر اللغة الدولية الاولى التي حظيت باقبال الجمهور ، في الامم الراقية ، ضاربين صفحاً عن اسلافها التي لم تخرج الى حيز الوجود ، من الوجهة العملية ، التي عليها وحدها المعوّل في موضوعنا . تلك اللغة الميمونة الطالع هي الفولابوكية (Volapuk) ، وقد صاغها ، سنة ١٨٧٩، الكاهن الكاثوليكي الالماني شلاير (Schleyer) ، مقتبساً اكثر جذورها من

الانكليزية ، وحاصرًا صرفها ونحوها في قواعد قليلة ، لا شواذ لها . مع ذلك كان في لسانه عيب جوهري ، وهو بمثابة سم ناقع ، سار في اصوله ومنذر بقرب فنائه ؛ نعني تشويه الجذور الانكليزية باختصارها المفرط ، الى حدٍ جعلها كالالغاز الغامضة في عين الانكليز انفسهم .

دونكم بعض الامثلة على ذلك : flen بمعنى صديق (من friend) ، nim بمعنى حيوان (من animal) ، Melop بمعنى اميركة (من America). مع تلك الثائبة الكبرى قد اصابت الڤولاپوكية الغيرة الفهم رواجاً شديداً في الاقطار المتمدنة ، فقد طُبع نحوها في خمس وعشرين لغة ، وأُنشئ لها مئتان وثلاثة وثمانون نادياً ، كان اعضاؤها يُحصون بعشرات الالوف . وما انفك ، بعد انعقاد المؤتمر الڤولاپوكي الدولي الثالث ، سنة ١٨٨٩ ، انكسفت شمس تلك اللغة في افق الحضارة ، فلم يعد يشاهَد لها فيه من بزوغ .

قبل ذلك التاريخ المشؤوم بعامين كان شاب يهودي بولوني ، اسمه زامنهوف (Zamenhof) ، قد وضع لغة دولية جديدة ، ونشر قواعدها في كُتيب اتخذ فيه اسم Esperanto المستعار — ومعناه راج — تعبيراً عن رجائه اقبال ارقى الشعوب على درس لسانه الصناعي ، فدُعيت لغته بذلك الاسم ذاته . وقد تاسى صاحبها الامريكيين في تعريفها ، جائلاً من قُطر الى آخر ، وهو يُلقي في المدن الكبرى محاضرات عديدة على صفوة العلماء والادباء ؛ وبعد بذل تلك الجهود المتواصلة نال بعض مُناه بانتشار لسانه في فرنسة ؛ ولم يتم ذلك الا بفضل الهمة القعساء التي ابداها المركيز لويس ده بوفرون (de Beaufront) ، العالم الكاثوليكي الفرنسي .

لم يمض على ذلك وقت طويل حتى امتدت فتوحات الاسبرنتية الى انكلترة واسبانية وسائر اقطار اوربة حول سنة ١٩٠٣ . صرف تلك اللغة ونحوها بسيطان جداً ، بحيث يمكن حصر كل قواعدها في نحو عشرين صفحة ! اكثر جذور كلماتها مقتبس من اللغات اللاتينية ، ولا سيما الفرنسية ، والقزر اليسير من الالسن الجرمانية ، وعلى الاخص من الانكليزية والالمانية . وبما ان عدد الناطقين باللغات اللاتينية والجرمانية في انحاء العالم قد بلغ وقتئذٍ زهاء خمسة

مليون ، اصبحت الاسبرنتية في عهد الامبراطورية شبه لغة رسمية ، بل واسطة العقد الذي انتظمت في سلكه الطويل ، منذ ثلاثة قرون ، نحو مئة وخمسين امة صناعية .

بيد ان الاسبرنتية كانت موصومة بعيب كبير ، تجلى شيئاً فشيئاً لذوي الافكار السبقة ، وهو ان زامنهوف لم يختر جذور كلمات لغته وفقاً لمبدإ معقول ، ثابت ، بل اقترضها ، كما عنَّ له ، من اللغات اللاتينية في الغالب ، وبعض الاحيان من الالسن الجرمانية . لذلك نرى مئات من الكلمات الاسبرنتية لا تشبه ما يقابلها في اشهر اللغات الاوربية شبهاً كافياً ، يسهل فهم معانيها فوراً للشعوب الناطقة بتلك اللغات .

مع ذلك الخلل قد راجت الاسبرنتية في المشارق والمغارب رواجاً شديداً هو من اجلى الشواهد على مبلغ حاجة الامم الراقية الى لغة دولية . سنة ١٨٨٨ لم يوجد في المعمور سوى نادٍ اسبرنتي واحد ، وفي سنة ١٩١٠ بلغ عدد الاندية الفاً وخمسمئة ! فضلاً عن ذلك قد التأم اكثر من اثني عشر مؤتمراً اسبرنتياً ، توافد اليها الآف اتباع تلك اللغة ؛ ومن جملتها المؤتمر المعقود في عاصمة هولندة ، بُعيد الحرب العالمية الاولى ؛ كان عدد اعضائه ٣٩٩ ، وهم يمثلون ثلاثاً وعشرين دولة .

سنة ١٩٠٨ تأسست الجمعية الاسبرنتية العامة ، التي غايتها خدمة اعضائها ، ولا سيما السيَّاح منهم ، اكبر الخدم بالمراسلة او المواجهة ، وذلك بواسطة ممثليها في اهم مدن اوربة وغيرها من القارات ، حتى في اقاصي الارض ، مثلاً في اميركة الجنوبية واستراليا والصين واليابان[1] . قد كان عددهم ١٢١٠ ، سنة ١٩١٤ ، ثم هبط الى ٦٥٠ بُعيد الحرب العالمية الاولى .

١) قد استقبلنا ممثلو تلك الجمعية ، بين السنتين ١٩١٠ و١٩٣٠ ، بارق مظاهر الحفاوة والسخاء ، في نحو ثلاثين من مدن اوربة في هذه البلاد المشرة : فرنسة ، انكلترة ، اسبانية ، البرتغال ، المانية ، دانيمرك ، النجر ، يوغوسلافية ، بلغارية ، تركية . فاختبرنا في احاديثنا الطويلة معهم ومع غيرهم من الاسبرنتيين ، سهولة التفاهم التام بلغة زامنهوف ، بل قد شعرنا الذ الشعور بقوة عاطفة الحب الطبيعية ، التي تربط كل بني آدم ، مع اختلاف اديانهم وجنسياتهم ودرجات تمدنهم .

اما ازدهار الآداب الاسبرنتية ، منذ فجر القرن العشرين ، فحدّث عنه ولا حرج ، فقد نُقلت اشهر مؤلفات العالم المتمدن الى لغة زامنهوف ، وطُبعت فيها زهاء اربعين مجلة في نحو ستة عشر من اقطار المعمور .

مع تلك المآثر الغراء ، التي لا يستطيع انكارها مكابر ، قد افضى عيب الاسبرنتية ، المشار اليه منذ هنيهة ، الى انقسام اتباعها الى حزبين متضادين : المحافظين المتعامين عن ذلك النقص الفاحش ، والاصلاحيين المجاهرين بضرورة ازالته ، لئلا يحول دون سرعة انتشار تلك اللغة الدولية . وقد بلغ صوت الحزب الثاني عنان السماء ، فتحتم على زامنهوف نفسه ان يقترح سنة ١٨٩٤ عدة تحسينات خطيرة للاسبرنتية ، لا يختلف كثير منها عن مميزات اللغة الدولية الإيدية (Ido) ، التي ابدعها المركيز ده بوفرون سنة ١٩٠٧ . بيد ان معظم الاسبرنتيين قد رفضوا الاصلاح المقترح عليهم ، زاعمين انه يمنع زيادة شيوع لغتهم العزيزة ، فأدى ذلك التصلب في الرأي الى انشقاق اليم بينهم فور ظهور الايدية ، وقد حان لنا ان نبيّن مزاياها الفريدة ، الخالية من كل شائبة ، مبرهنين على انها ، بدون ادنى شك ، اللغة الدولية النهائية .

٤ — اللغة الدولية النهائية : الايدية

يليق بنا بيان ظروف نشأتها لما في ذلك من العبر المفيدة . سنة ١٩٠٠ اذ فُتح معرض باريس العام الطائر الشهرة ، التأم في عاصمة فرنسة عدة مؤتمرات دولية ، فشُعر فيها جليًّا بمسيس الحاجة الى لغة دولية سهلة ان تأتي بدونها المؤتمرات بكل نتائجها العظيمة لترقي العلوم والشعوب . فانتخب بعض المؤتمرات الباريسية نوّاباً وكلوا الى همتهم ودرايتهم حل معضلة اللغة الدولية . فاجتمع هؤلاء في كانون الثاني ١٩٠١ واسسوا مجلساً لبلوغ مأربهم ، فأجرى التحقيقات اللازمة وعرّف غايته لكل الامم ، فحبذها ١٢٥٠ شخصاً من اعضاء المحافل العلمية والادبية واساتذة الكليات في جميع اصقاع المعمور ، فضلًا عن ٣١٠ جمعيات وشركات شتى . كان كل ذلك بين رأس سنة ١٩٠١ ومنتصف سنة ١٩٠٧ ، وهو برهان جديد لا مرد عليه ، يُثبت شدة ضرورة اللغة الدولية للمجتمع

الشرقي . بعد تلك السنوات السبع التمهيدية رأى بعض ان يقيم في باريس لجنة دعا اليها اشهر اللغويين في اوربه واطرفهم باعاً، لحل مشكل اللغة الدولية على اساوب علمي ونهائي . فالتأمت تلك اللجنة في تشرين الاول سنة ١٩٠٧ وفي اثناء ١٨ جلسة طويلة القت نظر الانتقاد الصائب على كل الالسن الصناعية المعروضة افحصها ، وعددها يناهز العشرين ، وفي مقدمتها الاسبرنتية ، وكانت حينئذ في اوج عزها . هاكم الفتوى التي اصدرها بل امضاها كل اعضاء اللجنة دون استثناء ، وبعضهم اسبرنتيون : «قررنا اختيار الاسبرنتية نظراً الى كمالها الجزئي ، ولكن ينبغي تحسينها من عدة اوجه وفقاً لمشروع اللغة الايدية . » لفظة مشروع المستخدمة في نص هذا الحكم تدل القارئ اللبيب على كون المركيز ده بوفرون ، مبتكر الايدية ، لم يقترحها على اللجنة بصفة لغة كاملة الاجزاء ، بل اكتفى بعرض مبدئها العامي ، وهو ناموس الدولية العظمى (maximum d'internationalité) ، ثم ملخص غراماطيقها وبضع مئات من مفرداتها وجملها . لجنة اللغويين قد استحسنت الايدية اي استحسان وحكمت بلزوم ادخال كل كمالاتها الخاصة في الاسبرنتية . ولما كان مثل ذلك الاصلاح يقلب هذه ظهراً لبطن ، والاسبرنتيون يهنئون انفسهم قبل فتوى اللجنة بالظفر المبين، فار فارهم حين وقفوا على خيبة آمالهم وهدم ركن عزهم الشامخ . فقاموا كرجل واحد بل كجيش جرار في وجه العدد القليل من طالبي الاصلاح المشار اليهم واستباحوا ضروب الاراجيف والنائم وذرائع الارهاب لمنع ادنى تحسين يراد ادخاله في لسانهم ، مدعين ادعاء الحق بل الجنون انه لسان حيّ لشعب حيّ ، فمن المستحيل مسه ، ومنكرين وجود سلطة ، ولو علمية وادبية ، في اللجنة المتجاسرة على الطعن في لغتهم الحية وتفضيل الايدية عليها، مع انهم قد اعلنوا استعدادهم لقبول حكم تلك اللجنة قبل صدوره ! خلاصة الامر ، نعني بذلك السبب الحقيقي لازباد الاسبرنتيين وارغائهم ، ان كثيراً من زعمائهم كانوا مؤلفي مئات من الكتب الاسبرنتية ، فرأوا في اتخاذ الايدية نموذجاً لتقويم ما اعوج من لغتهم وتحسين ما شاء وفقاً لفتوى لجنة اللغويين، خسارة مالية جسيمة يلتزمون بجعل عبئها الباهظ ، فآثروا مصالحهم الخاصة على

مصلحة جمهور الاسبرنتيين بل جميع الشعوب. وكم أرانا التاريخ من امثال تلك الاثرة الشائنة ! على كل حال ان كثيرًا من الاسبرنتيين المعدودين ، الذين لم يُعمهم الغرض الشخصي ، قد انضموا لاول رهلة تحت علم الايدية وانفصلوا عن اخوانهم الجهلة او المتجاهلين انفصالاً تامًا، فأنشأوا محفلاً فوضوا الى اعضائه المنتخبين من بلاد كثيرة مهمة اغنا. معجم لغتهم بما يلزمها من الكلمات لتجاري ارقى الالسن، ثم تحسين غراماطيقها في بعض نقط ثانوية . فقام بتلك الوظيفة خير قيام من سنة ١٩٠٧ الى ١٩١٣ ، وبلغت الايدية اشدها واوج كمالها .

سبق لنا القول ان تفوق الايدية على الاسبرنتية ناجم عن كون الاولى وحدها قد اقتبست كل جذور الفاظها من اوسع الالسن الراقية شيوعاً بتطبيق مبدإ علمي ليس فيه لعيّاب معاب ، وهو ناموس الدولية العظمى الذي يقتضي ان تكون كل جذور الكلمات والسوابق (préfixes) واللواحق (suffixes) على اتم الشبه بما يوجد منها في اشد اللغات الراقية انتشارًا وهي : الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية ، الايطالية ، الاسبانية والروسية . الايدية بعكس الاسبرنتية ، لا تحيد ادنى حياد عن الناموس المذكور ، فنجد في الفرنسية ٩١ في المئة من جذور الايدية و٨٣ في المئة فقط من جذور الاسبرنتية ، وفي الانكليزية ٧٩ في المئة من جذور الايدية و٧١ في المئة فقط من جذور الاسبرنتية.

فهل من مكابر يتجاسر ، بعد معاينة هذه الارقام التي لم يجد الاسبرنتيون سبيلاً الى انكارها ، على نفي تفوق الايدية العظيم من جهة سهولتها وسرعة فهمها ؟ لها ايضاً غير ذلك من المزايا دون رصيفتها، فهي اغنى منها جدًا بعدد كلماتها ولا سيما العلمية والفنية . عدد جذورها نحو ثمانية الآف ، وقد اشتُق منها اكثر من خمسين الف كلمة. اما الاسبرنتية، فمع كونها سبقت الايدية بعشرين سنة، لا ينطوي معجمها الكامل، المنشور سنة ١٩١٠ ، على اكثر من نحو عشرين الف كلمة . ومن الاكيد الذي لا يختلف فيه اثنان ان لغة زامنهوف لم تغتنِ بالالفاظ اغتناء يُذكر منذ العام المذكور . اضف الى ذلك ان لفظ الايدية اسهل جدًا من لفظ رصيفتها، وقواعدها ابسط، وبينما حروف الايدية هي الحروف الانكليزية الموجودة في كل مطابع العالم وآلات الكتابة، نجد خمسة

من حروف الاسبرنتية تعلوها العلامة المعروفة عند الفرنسيين باسم (accent circonflexe) ومن البديهي انها ليست في كل المطابع وآلات الكتابة . لعمري ان ذلك العيب وحده كافٍ لتشويه الاسبرنتية ومنع انتشارها في كل البلاد . لكي يستطيع القراء بعض المقارنة بين اللغتين المتزاحمتين نعرض على محك انتقادهم نصاً ايديناً منقولاً الى الاسبرنتية ثم الى العربية :

الايدية	الاسبرنتية	العربية
Kande omna ti qui volas la suceso de la linguo internaciona konocos omna kondicioni di la problemo solvenda, lore la selekto dil maxim bona linguo divenos min desfacila.	Kiam chiuj tiuj kiuj volas la sukceson de la linguo internacia konos chiujn kondichojn de la problemo kiun oni devas solvi, tiam la elekto de la plej bona linguo ighos malpli malfacila.	متى عرف كل مريدي نجاح اللغة الدولية جميع شروط المشكل المقصود حلّه ، حينئذ يصبح اختيار افضل لغة اقل صعوبةً .

فليحكم الآن القارئ الذي له ادنى الملم بالانكليزية او الفرنسية اي اللغتين الدوليتين ارخم لفظاً واوضح معنى .

بقي علينا ان نوجه انظارنا هنيهةً الى انتشار الحركة الايدية في العالم . ذلك الانتشار لا بأس به ، ولا سيما ان الايدية قد نشأت سنة ١٩٠٧ ولم تكمل قبل سنة ١٩١٣ ، وقد كادت الحربان العالميتان تلاشي ما فازت به الايدية من الرواج ملاشاة الاعاصير لنحيف الاشجار التي لم تتأصل اورمتها في اعماق الارض. اليوم نرى آلاف الايديين في البلاد الآتية على الاخص : انكلترة ، فرنسة ، المانية ، النمسة ، المجر ، تشاكوسلوفاكية ، هولندة ، بلجيكة ، دانيمرك ، اسوج ، ايطالية ، فنلندة ، الولايات المتحدة واوستراليا .

قد طُبع في الايدية نحو مئتي كتاب على الاقل ، منها كتيب ترجمنا فيه اثنتين واربعين قصيدة لطائفة من اشهر شعراء الاقطار العربية المعاصرين ، فانتشرت نسخه بسرعة في اكبر الاقطار الاوربية وغيرها ، وقد بلغنا صدى اعجاب قرائها بثُمَر قريضنا الحديث . سنة ١٩١٤ كان للايديين نحو سبع عشرة نشرة ومئتي جمعية ؛ اما الآن فترجح نقصان ذينك العددين الناتج عن

الحربين العالميتين . وقد صدر في استونيا يوم جلوس سمو سلفة الايدية يحتوي عنوانات زهاء ثمانمئة شخص من اتباع تلك اللغة الساكنين في ثلاثين بلداً . قد اختبرنا مراراً شدة فائدة تلك المراسلة ، فقد حصلنا بواسطتها على كتب عديدة في لغات شتى .

سهولة الايدية وسرعة تعلمها تفوقان التصور ، وقد تحققنا ذلك في ذاتنا وفي بعض تلاميذنا ؛ قد اكب احدهم خمسة ايام ، لا غير ، على دراسة تلك اللغة ، فاستطاع ان يكتب بها مقالة ذات صحيفتين لم نجد فيها سوى نحو عشرة اغلاط . الحق يقال : ان ذلك الشخص شديد الذكاء ، ولكن يسوغ التصريح بان كل متوسط العقل يمكنه التوصل الى قراءة الايدية بل الى كتابتها في ظرف اربعة اشهر ؛ كفى شاهداً على ذلك رواج تلك اللغة في طبقة العمال ، فقد انشئت لهم عدة اندية ايدية في مدن كثيرة من اكبر الاقطار الاوربية .

رب سائل يسألنا معترضاً : « اسلم وفقاً لفتوى الثقات بتفوق الايدية على « الاسبرنتية ، ولكن ماذا يضمن لي ان احد الباحثين المبتكرين لا يأتينا « غداً بلغة دولية جديدة من بنات افكاره ، فيثبت انها تفوق الايدية ؟ بل « ربما وليه مستنبط آخر وجاء بلسان اكمل من سلفه . فاين المحطة الاخيرة في « ذلك الترقي المتواصل ، وهل من الحكمة ان نخص الايدية باختيارنا ونقبل « على دراستها ونحن غير موقنين ببقائها ولو بضعة اعوام ؟ »

نعم الاستفهام وجيه هذا الاعتراض ، وها نحن نجيب عليه بكل الطمأنينة . لا تخشى ، يا صاح ، وقوع المحذور الذي اشرت اليه ، لان ابتكار لغة دولية اكمل من الايدية لاشد استحالة من بيضة الديك ؛ اليك برهاناً جلياً على ذلك ، يلقم كل مكابر الحجر . الايدية ، كما صرحنا غير مرة ، قد عينت كل جذورها ومشتقاتها ، بل اكثر قواعد صرفها ونحوها ، وفقاً لناموس الدولية العظمى ، فهي اذاً اسهل وابسط لغة دولية يمكن استنباطها في دور تمدننا الحاضر ؛ وقد شهد اللغوي الدانيمركي النابغة اوتو يسبرسن (Otto Jespersen) شهادة ضمنية على انتصارها النهائي وخلودها بقوله : « خير لغة دولية هي اسهل لغة لاكبر عدد من الناس . »